

انتفاضات الشوارع العربية أقوى من الآلات العسكرية



في السير وتيرة واحدة. ولم تحرص المؤسسة العسكرية على نسج وشائج قوية مع الشارع تجعلها طرفاً محايداً وبعيدة عن مرمرى نيران المتظاهرين. هذه واحدة من التحديات الدقيقة، التي تواجه الموجة الحالية من التظاهرات، التي لم تستوعب بعض الجيوش دروس الموجة الأولى من الثورات. وأصبح استمرار الضغوط الشعبية حتى ترسخ السلطات الحاكمة للمطالب كاملة، يحمل في طياته خطورة كبيرة. ويمكن ذلك في الانتشار الكثيف للمطالب، في ظل تركيبة اجتماعية وطائفية معقدة، وافتقار المعارضة للقيادة الواضحة والتنظيم المحكم، رغم امتلاكها لأنوات فعالة في حشد غضب الجماهير.

جيشها لمطالب المتظاهرين ولم يشترك معهم في ثورتي 25 يناير 2011 و30 يونيو 2013. وفي الموجة الثانية انحاز الجيش السوداني إلى الحراك الثوري في أبريل الماضي، وصمم على عزل الرئيس عمر حسن البشير بعد ثلاثة عقود متمرس خلالها في السلطة. لو اختارت المؤسسة العسكرية في كل من مصر والسودان خياراً بديلاً، مثل اللجوء إلى انقلاب مباشر والاستحواذ على السلطة، أو الدفاع عن الجالس على مقعد رئيس الجمهورية حتى آخر نفس، لكان المصير شبيهاً بمصير سوريا واليمن وليبيا. ذلك هو اليوم جوهر مازق الدول التي تشهد احتجاجات، لأن جيوشها أخطأت ولم تحتفظ بمسافة بينها وبين السلطات الحاكمة، بل اندمجت معها

فيها التظاهرات، حيث يزداد الاعتماد على الآلة العسكرية، التي تجاوزها زمن التكنولوجيا، وأصبحت غير صالحة لبقاء رؤوس من بلجانو إليها فوق أكتافهم. فالديناميكية التي تتحرك بها الجماهير الغاضبة كغالبية بالعمود والتحدى، بعد أن تجاوزت الخطوط، ليصبح التراجع خيانة لدماء الشهداء وتصريحاً بمزيد من الاستهداف الجاني. أفلحت الدول التي التحمت فيها المؤسسة العسكرية جيوشها مع نبض الجماهير. وخسرت تلك التي التصقت فيها بالسلطة الحاكمة، لتفتح أبواب انهيارها معاً، لأن عدم الاحتفاظ بهامش من الحركة المستقلة يفضي إلى طريق مسدود. هناك شواهد تؤكد أن مصر، نجت بنفسها في الموجة الأولى، عندما انحاز

بخطى من يتخيل أن العراق ولبنان وحتى إيران غداً، سوف تكون هي ذات الدول بالأمس، فالتظاهرات لم تعلن عن مخاضها النهائي بعد. وسواء نجحت في تحقيق مطالبها أو تعذرت، ففي الحالتين أحدثت صدى واسعاً في الدول التي ضربتها، وقد تفرز واقعا يصعب أن يتجاهل دروسها. فالضربات السياسية التي ظهرت معها كفيلة بهز بعض الهياكل الرئيسية، وإجبار المسؤولين فيها على مراجعة تصوراتهم وممارساتهم. وتمكنت حكومات عراقية وإيرانية ولبنانية في أوقات ماضية من إجهاد حركات احتجاجية متعددة بخبرة الأدوات الأمنية المتراكمة. لكن السلطات في هذه البلدان تجد نفسها الآن أمام توازنات مختلفة، لا تلجأ معها القوة المفرطة، ولا يرضخ فيها المتظاهرون للخنوع مع الإسراف فيها، لأن هناك متغيراً رئيسياً دخل المعادلة التقليدية. متغير الأجواء الإقليمية المحفزة على التظاهرات المرتبطة معنويًا بالعمل الإيراني، الأمر الذي يؤدي إلى نتيجة متقاربة.

نظريات المؤامرة الخارجية، التي يستخدمها المسؤولون لتبرئة ساحتهم، وجلب تعاطف وهمي معهم، لم تعد تلقى رواجاً لدى كثيرين، وجرى تفريقها من مضمونها، بسبب وجود عوامل كامنة في الداخل، كفيلة بتفجير طاقة الغضب، دون الحاجة لأصابع خارجية.

ولم تعد حيلة الطرف الثالث، التي ترددها بعض الحكومات كشماطة تعلق عليها فشلها تنطلي على أحد. ومع ذلك لا تزال تقفز على السطح مع كل احتجاجات ترتفع هنا أو هناك، وهي في جوهرها تدوير الجبهات التي تعزف على نغمتها، وهي غالباً جهات رسمية أو قريبة منها. إذا كانت أجهزتها الأمنية عاجزة عن اكتشاف الطرف الخفي والقبض على عناصره فهي مصيبة، وإذا كانت تعرفه وتجاهل فضحه فالمصيبة أعظم. تقول القاعدة البوليسية في كشف الجرائم الغامضة، أبحث عن المستفيد، وإذا طبق ذلك من السهولة أن تضع كل سلطة يدها على من يقومون بالتفجير والقنص والتفجير في أي بلد تحدث

حرية للسيطرة على عقول الناس، أو على الأقل لم تعد مجدية في الوقت الراهن مع انتشار العدوى السريعة للتظاهرات التي تنتقل من بلد إلى بلد غير أن الحكومات لم تتوقف عن استخدام فائض القوة وعن توجيهها إلى صدور المحتجين. كان الناس في مصر يقولون "إن تأتي متأخراً، خير من ألا تأتي أبداً". اليوم بات لسان حال كثيرين يقول "إن تأتي متأخراً فخير لك ألا تأتي أبداً" حيث لا فائدة من المجيء. وهي العبرة التي يمكن استخلاصها من الثورات التي ضربت بعض الدول، حيث تظل الحكومات تتباطأ وتتحايل وتتاوّر وتراوغ في الاستجابة لمطالب الجماهير، وعندما تعي الدرس وتفهم دلالاته وتجد أنه لا مفر من الاستجابة ترتفع الطموحات وتنتقل إلى مربع أشد أماً. مربع عدم التهاون في التمسك بالرحيل التام للطقة السياسية.

تمكنت السلطات الأمنية في العراق وإيران ولبنان سابقاً من إجهاد احتجاجات متعددة، لكنها تجد نفسها الآن أمام توازنات مختلفة، لا تنفع معها القوة المفرطة

لست في حاجة لتكرار مشاهد سابقة من مصر وتونس وليبيا واليمن، وأخرى تدور رحاها في العراق ولبنان وربما إيران، حيث يرتفع سقف الأهداف السياسية وتتكرر السيناريوهات، ويتم إعادة السردية الأمنية بحذافيرها، وفي النهاية لا مناص من التجاوب مع حركة الجماهير. وحتى لو نجح البشع والتدمير والفك بالشباب عبر الآلة العسكرية لمرحلة معينة، فمن المؤكد أن رسائله سوف تستمر، ويتم استكمالها في مراحل لاحقة.



محمد أبو الفضل كاتب مصري

لعل زمان أنواته، ولكل مرحلة طقوسها، ولكل شعب أدبياته في التغيير. مضى الوقت الذي كان فيه القائد العسكري، أول من يستيقظ في أوقات الأزمات ليقبض على جميع المفاتيح الرئيسية للسلطة في الدولة، إلى أن يسقط بنفس الطريقة تقريباً. جاء وقت يتطلب فيه الأمر خروج حشود كبيرة في الشوارع والميادين كي يحدث التغيير، والتغيير المضاد. تنطلق هذه المعادلة، إلى حد كبير، على دول العالم الثالث، وتكاد تتحول إلى قاعدة. قد تنطلق التظاهرات بدوافع اقتصادية، كما حدث في لبنان والعراق وأخيراً إيران، لكنها سرعان ما تتحول إلى اعتراض على نمط حياة سياسية وأمنية واجتماعية واقتصادية، حتى تصل إلى المطالبة بسقوط النظام ورؤوسه الفاعلة.

يستمد الحراك الشعبي زخمه من تماهي السلطة في استخدام القوة الخشنة، ويزداد سخونة مع كل قطرة دماء تسيل على الأرض. لم تعد الجماهير تخشى القبضة الأمنية أو تهاب بطش الكتائب والعصابات المسلحة، وأصبحت لديها طاقة غريبة على الصمود. يقول لسان حالها "احلموا بعالم سعيد. فخلف كل متظاهر يموت متظاهر جديد. وخلق كل ثائر يموت: أحزان لها جدوى". مع الاعتذار بالطبع للشاعر المصري الراحل أمل دنقل، شاعر الرفض والمقاومة، الذي قال في قصيدته كلمات سبارتاكوس الأخيرة، وكتبها عام 1962 "لا تحلموا بعالم سعيد. فخلف كل قيصر يموت قيصر جديد. وخلق كل ثائر يموت: أحزان بلا جدوى. ودمعة سدوى". وهي قصيدة مليئة بإسقاطات وتلميحات تحتاج إلى قراءة سياسية معاصرة. تغيرت أمور كثيرة في المنطقة العربية، وأصبحت حركة المنتفضين في دول كثيرة أقوى من الآلة العسكرية التي يتم اللجوء إليها عند أول بادرة للاحتجاجات. ومع أن التجربة أثبتت أن الأدوات المسلحة فقدت دورها كراس

انتفاضة العراقيين ترهق أعداءها

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبالي
كرم نعمة
حذام خريف

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة العيقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 - 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk
www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

استبدال اسم شارع الخميني في النجف باسم شارع شهداء ثورة تشرين. وقد زاد ذلك من غضب أركان الحكم في طهران وكشف حقدهم الدفين على الشيعة العرب حين وصفهم موحد كرماني خطيب جامع طهران بـ"شيعه الإنكليز".

القوى الماسكة بالسلطة والسلاح والثروة، تراهن على الوقت وإتعايب الشباب، لكن الثوار يفاجئون الجميع كل يوم بفعاليات مرهقة لأعدائهم

وأثمت التظاهرات الإيرانية في الأيام الماضية صحة مخاوف ومحاذير زعيم النظام الأول خامنئي من امتداد عاصفتها إلى ضفتهم الإيرانية ومخاوفه من نهاية مشروع الفساد والنهب الذي ظل لسنوات يحمه بشعاراته الأيديولوجية الدينية. وقد كشف واحد من أهم زعامات حزب الله اللبناني وأمينه العام ما بين 1989 إلى 1991 صبحي الطفيلي هذه العلاقة حين وصف خامنئي بأنه أكبر حام للفساد في العراق ولبنان وهو المرشد العام للفاستين. عناصر ومقومات مطاولة الثوار كثيرة. وهي تزداد قوة كل يوم، منطلقة من إصرارهم على تحقيق إصلاح جذري شامل في قمة هرم السلطة ومنظوماتها عبر إزاحة القوى الحزبية التي نهبت العراق، وإيجاد بديل وطني أعلنوا عن مقدماته في البيانات والإعلانات الخارجة من ميدان التحرير. ديمومة هذه الانتفاضة تأتي من خلال الإسناد المعنوي والمادي من أطراف شعب العراق، والتي تعبر عنها الصور الرائعة المنقولة عبر المقاطع الفيديوية ومبادرات الدعم الراقي من الفنانين العراقيين الأصلاء بالأغاني والأناشيد الوطنية ومن مثال انتصار فريق الرياضة العراقي على إيران.

أميركا وإسرائيل وبعض دول المنطقة وأنها مؤامرة من الأعداء تهدف إلى التفريق بين إيران والعراق". أما الوثيقة المقابلة فقد تضمنها البيان السياسي الأخير للمرجع الشيعي في النجف علي السيستاني الذي صدر بتاريخ 15 نوفمبر الجاري، والذي أكد فيه على الانحياز الكامل إلى جانب المتظاهرين السلميين، رغم عدم إفساحه بوضوح عن الحل الأمثل وهو تغيير الحكومة وإحداث التغيير السياسي الشامل. لكن السيستاني عبر عن تضامنه مع المتظاهرين بقوله "إن المواطنين لم يخرجوا إلى المظاهرات المطالبة بالإصلاح بهذه الصورة غير المسبوقة بكل ما تطلب ذلك من ثمن فادح وتضحيات جسيمة، إلا لأنهم لم يجدوا غيرها طريقاً للخلاص من الفساد المنقائم يوماً بعد يوم".

ليس من السهل حسم الصراع القائم خلال أيام معدودة بين شباب الثورة العراقية العزل وبين القوى الماسكة بالسلطة والسلاح والثروة، التي تراهن على الوقت وإتعايب الشباب المنتفضين، لكن الثوار كانوا يفاجئون الجميع كل يوم بفعاليات مرهقة لأعدائهم وتؤكد أنهم لن يقفوا دون تحقيق جميع مطالبهم. المؤشرات اليومية تؤكد استمرار وتصاعد الانتفاضة الشعبية، رغم اندام توازن القوى بين جهات لديها أنوات قتل متعددة وبين شباب ثائرين بصور عارية إلا من علم العراق وشعار "نريد وطن" في وقت تكشف فيه "القوة الثالثة" الغامضة عن وسائل بطشها بالشباب المنتفضين بالقتل أو الإختطاف. وجاءت تصريحات وزير الدفاع العراقي تأكيداً لهذه الحقيقة حينما برأ القوات المسلحة النظامية العراقية من جريمة قتل الشباب وأكد وجود الطرف الثالث، الذي يوجه أسلحته للشباب والأجهزة الحكومية. لقد شخص المنتفضون الدور الإيراني الخبيث لقمع انتفاضتهم وكانت أمثلة ذلك التشخيص في تظاهرات شباب كربلاء وإغلاقهم للقنصلية الإيرانية ورفع العلم العراقي على بنايتها وإنزال صور خامنئي وسحقها تحت الأقدام، وكذلك

لا علاقة لهم بمرور ثورات الأدلجة السياسية والدينية وبين سراق وقتلة وفاسدين تحميمهم إيران بإمكانياتها الكثيرة. لقد خسرت قوى السلطة الكثير من أسلحتها المعنوية التي كان لها تأثيرها المهم في الوسط الشيعي منذ وصول القوى السياسية الحالية إلى السلطة بعد الغزو الأميركي للعراق في عام 2003. فقد عجلت الانتفاضة التي وُجدت العراقيين في كشف حقيقة وإلءات السياسيين وعزت أوراق احتمائهم الزائف بالمرجعية الشيعية.

وأصبح الفرز السياسي واضحاً بعد ظهور وثيقتين سياسيتين متعكستين من مرجعيتي النجف وطهران، الأولى تمثلت بتقرير الولي الفقيه الإيراني علي خامنئي، الشفرة لأعدائه في العراق بتوجيه أوامر مكشوفة لتصفية المنتفضين في ساحات الاحتجاجات العراقية، حين وصفها مع انتفاضة اللبنانيين بانها "أعمال شغب تديرها

أسماء القتلة والجهات المرتبطة بها. حاول عبدالمهدي التمويه على حقيقة الانتفاضة وأهدافها الوطنية في "استعادة وطن" وتتصل من مسؤوليته الدستورية الأولى بأنه حامي المواطنين، لكنه تكلف عن أنه لا يتحكم بالدولة، حين نزل إلى مستوى التوسل بمخاطفي مؤلف أممي كبير في جهازه الحكومي ليطلب جهات منفصلة بإطلاق سراحه رغم ترجيح علمه بهوية تلك الجهات. هذه الوقائع تؤكد على حقيقتين مهمتين من ضمن حقائق كثيرة أفرزتها الانتفاضة العراقية العظيمة. الحقيقة الأولى هي أن ما يحصل في الشارع العراقي الملتهب الآن في بغداد ومحافظات الوسط والجنوب هو صراع سياسي بين شعب مضطهد ومظلوم ومنهوية أمواله وبين طبقة سياسية طاغية وقاسدة وصلت إلى أسفل درجات الانحطاط السياسي. وخلال يوميات الصراع أصبحت الإصطفافات مكشوفة ما بين شباب واعين منفتحين على العالم



د. ماجد السامرائي كاتب عراقي

لم تتمكن القوى المعادية لشعب العراق وشبابه من إخماد وسحق الانتفاضة الشبابية المتواصلة منذ الأول من أكتوبر الماضي، رغم حملات العنف المفرط والقتل، في ظل نظام متورط شكلياً بادعاء القبول بمعايير الأنظمة الديمقراطية. وقد استخدم النظام الطائفي في عمليات القمع أسلحة محرمة دولياً، لا تستخدم عادة حتى في الحروب، ضد شعب متظاهر سلمياً يطالب بحقوقه المشروعة دستورياً. لقد فشلت المحاولات الأولى لشيطنة الانتفاضة وتزييف وتشويه وقائعها باتهام شبابها بانهم مدفوعون من قوى خارجية، حيث أعلن رئيس الوزراء عادل عبدالمهدي أن الحكومة تواجه جيشاً منظمًا له قيادة ومنتسبون، في وقت واصلت فيه الإصرار على عدم كشف

